مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 10- العدد 4 (ديسمبر) 1442هـ/2020م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المسرح الجزائري ودوره في المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي 1920-1954م

Algerian Theater and its Role in the National Resistance to French Colonialism 1920-1954

اسم ولقب المؤلف المرسل: أحمد بن داود- Bendaoud Ahmed صص401-412
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر ب في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة تلمسان (الجزائر)
البريد الإلكتروني: benad58@gmail.com

تاريخ استقبال المقال:2020/06/13 تاريخ المراجعة:2020/10/05 تاريخ القبول:2020/11/01

الملخص باللغة العربية: لعب المسرح الجزائري دورا هاما في مقاومة الاستعمار الفرنسي باعتباره أحد روافد الحركة الوطنية؛ ساهم في توعية الشعب الجزائري، وإعداده للثورة، وتهيئة الظروف المناسبة لقيامها، هذا التوجه الوطني للمسرح ظهر منذ البدايات الأولى للنشاط المسرحي في أشكاله البدائية في القرن التاسع عشر، والذي سيتبلور بشكل واضح، ويتأكد بعد تأسيسه سنة 1926 كنوع أدبي و فني له أصوله و قواعده المتعارف عليها حديثا.

لقد اندمج المسرح الجزائري في العمل الوطني، وظهرت العديد من الفرق المسرحية والمسرحيين الذين أبدعوا أعمالا درامية تنتقد السياسة الاستعمارية، وتعالج مختلف مشاكل وقضايا المجتمع الجزائري؛ من أهمها "حنبعل" لأحمد توفيق المدني؛ و"يوغورطة" لعبد الرحمان ماضوي، ثم "الخداعين" و"بني وي وي" لمحي الدين باشطارزي؛ و"بلال بن رباح" لمحمد العيد ال خليفة و غيرهم...

إن المسرح الجزائري بذلك يكون قد أخذ مكانه في المعركة لمواجهة الاستعمار إلى جانب الصحيفة والنادي والجمعية والمسجد والمدرسة، وساهم في إفشال السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي بدفاعه عن القيم الوطنية، ونشر الوعي بين صفوف الشعب الجزائري، وإعادة تشكيل الضمير الوطني ليصبح بذلك أداة نضال ومقاومة نقلت المعركة مع الاستعمار إلى فضاءات جديدة، وهي المسارح وقاعات السينما والمدارس وغيرها.

من هذا التصور تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف على أهم مظاهر المقاومة التي خاضها المسرح الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، ودوره في إفشال السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي، وحشد وتجنيد الشعب الجزائري لدعم القضية الوطنية.

EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الكلمات المفتاحية: المقاومة الثقافية؛الفن المسرحي؛ الحركة الوطنية؛ الفن الرابع؛ بشطارزي؛ حنبعل.

Abstract: *The Algerian theater played an important role in resisting French colonialism as it was one of the tributaries of the national movement that contributed to educating the Algerian people, preparing them for the revolution and creating the appropriate conditions for its establishment. This national trend appeared in its early beginnings during the nineteenth century when it was in its first primitive forms to be confirmed after its establishment in 1926 as a genre of literature and art, with its newly recognized origins and rules.The Algerian theater has been integrated into the national work, and many theater groups and dramatists have appeared who have created dramatic works that criticize the colonial policy and address various problems and issues of Algerian society. The most important of them are "**Hannibal**" by Ahmed Tawfiq Al-Madani, "**Yogourta**" by Abdel-RahmanMadawi, "**the two deceptions**", "**BaniWai Wei**" by MahieddineBachtarazi, "Bilal IbnRabah" by Mohammed Al-Eid Al-Khalifa and others... The Algerian theater would thus have taken its place in the battle to confront colonialism alongside the newspaper, the club, the association and the free school. The Algerian Theater contributed to the failure of the colonial policy in the cultural field by defending national values, rebuilding and shaping the national conscience to become a tool of struggle and resistance that moved the battle with colonialism to new spaces, namely theaters, cinemas and schools.*

Keywords: Cultural Resistance; Theatrical Art; Bachtarazi; National Movement; Hannibal; Fourth Art.

المقدمة: تعددت أوجه مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي، وذلك منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر سنة 1830م؛ إذ خاض في البداية مقاومة شعبية مسلحة دامت إلى غاية مطلع القرن العشرين، ثم مقاومة سياسية وثقافية بعد الحرب العالمية الأولى من أهم روافدها المسرح أو الفن الرابع الذي دخل المعركة، وأخذ موقعه بأدوات أدبية وفنية لا تقل فعالية عن استعمال البندقية.

إن دخول المسرح الجزائري ميدان المقاومة يعكس التزام الفنانين المسرحيين بالقضية الوطنية، وتسخيرهم هذا الفن لخدمتها، وهذا ما تجلى بوضوح بعد تأسيسه سنة 1926 كفن قائم بذاته بإنتاج فني دائم ومستمر إلى غاية استقلال البلاد، هذا الإنتاج استلهم مواضيعه من الماضي التاريخي المشرق للجزائر، ومن الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري، ولهذا فالمسرحيات التي جادت بها قريحة المسرحيين الجزائريين تناولت عدة مظاهر وقضايا بالمعالجة والنقد اللاذع، وذلك كالظلم الاستعماري، والجهل والأمية والآفات الاجتماعية

المختلفة، وتمكنوا من مواصلة المقاومة للاستعمار الفرنسي على الساحة الثقافية، والمساهمة في إفشال سياسته في هذا المجال، وحماية الهوية الوطنية من الاندثار.

لقد أعطى تفاعل المسرح مع التطورات السياسية التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى نفسا جديدا للحركة الوطنية، وفتح جهة جديدة للمقاومة ضد الاستعمار، ولهذا فكثير من التساؤلات تطرح لفهم هذا المسار النضالي للمسرح الجزائري: ما هي الجذور التاريخية للمسرح الجزائري؟ وماهي ظروف نشأته؟ وما هي مظاهر مقاومته للاستعمار الفرنسي؟

1- نشأة وتأسيس المسرح الجزائري:

1- 1 الجذور التاريخية للمسرح الجزائري: على غرار باقي الدول العربية؛ لم تعرف الجزائر وجود مسرح بالمفهوم الحديث، أي باعتباره نوعا أدبيا وفنا له أصوله وقواعده المتعارف عليها حديثا، إلاّ في مطلع القرن العشرين[1]، لكن هذا لا ينفي وجود أشكال مسرحية بدائية أو عفوية كمسرح الكراكوز وخيال الظل[2]، الذي عرفته الجزائر مع دخول العثمانيين الذين حملوا معهم بعد استقرارهم بها عاداتهم وآدابهم وفنونهم[3]، وكانت عروضه تقدم خاصة خلال شهر رمضان، واستمرت إلى غاية القرن التاسع عشر، وذلك حتى الغزو الفرنسي للجزائر، وحسب روت آرليت (Roth Arlette) فإن العديد من الرحالة الذين زاروا الجزائر آنذاك تحدثوا عن عروضه[4]، وذلك قبل أن تقدم الإدارة الاستعمارية على منعها سنة 1843 إذ اعتبرتها عاملا محرضا على الثورة[5]؛ إلى جانب ذلك نجد أشكالا أخرى كالعروض التمثيلية التي كانت تقدم بمناسبة يوم عاشوراء والاحتفالات المرتبطة بالمناسبات الفصلية الفلاحية على طول شهور السنة[6]، كالتويزة وتاغنجا[7]، ثم العروض التي كان يقدمها المدّاح في الأسواق والحلقة وغيرها...

لقد بدأ المسرح الجزائري خطواته الأولى بهذه الأشكال التمثيلية التي شكلت الأرضية التي سيقوم عليها، وذلك على غرار كل المسارح في العالم لأنه لا يوجد مسرح في أي بلد من البلدان ازداد مباشرة في بناء جاهز يضم فرقة من الممثلين لها برنامج وعروض مسرحية[8]، وفي الجزائر هذه الأشكال المسرحية ستتطور بفعل عدة عوامل لتعطينا مسرحا بالمفهوم المتعارف عليه في الأوساط الأدبية والفنية.

2.1 العوامل المساعدة على ظهور المسرح الجزائري:

*زيارة الفرق المسرحية العربية: كفرقة القرداحي التي زارت الجزائر سنة 1908، وفرقة التمثيل المصري لجورج أبيض سنة 1921 الذي قدم مسرحيات "ثارات العرب" و"صلاح الدين الأيوبي" لنجيب حداد، و"مجنون ليلى"[9]، وفرقة عز الدين المصرية سنة 1922 التي قدمت عروضا مسرحية مصحوبة بمجموعة من الأغاني والمماويل الشرقية التي كان يؤديها سلامة حجازي، ثم فرقة فاطمة رشدي سنة 1932، والفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى برئاسة يوسف وهبي سنتي 1949 و1950، والتي بدورها قدمت مجموعة من المسرحيات من بينها "الاعتراف"، "بنات الريف"، و"أولاد الفقراء"، وقد نالت عروضها نجاحا كبيرا في المدن التي زارتها كالعاصمة ووهران وسيدي بلعباس وتلمسان[10].

*التأثر بالمسرح الفرنسي: قامت الإدارة الاستعمارية بالاهتمام بالمسرح بغرض الترفيه عن جنودها، ولهذا أنشأت فرقا مسرحية تابعة للجيش الفرنسي داخل الثكنات، وشيدت مجموعة من المسارح، وذلك بكل من الجزائر العاصمة ما بين 1850- 1853[11]، ووهران سنة 1907[12]، وهذا التأثير تمثل في إقبال المسرحيين الجزائريين على اقتباس العديد من المسرحيات الكوميدية الفرنسية مثل مسرحية "البخيل" و"مريض بالوهم" لموليير، واللتين اقتبسهما محي الدين بشطارزي، إضافة إلى استعمال التقنيات المسرحية الحديثة المستعملة من قبل المسرح الفرنسي[13].

*ظهور مجموعة من الجمعيات والنوادي التي اهتمت بالمسرح: كجمعية "المطربية" التي تأسست سنة 1911 برئاسة إدموند يافيل[14]، والتي قدم في إطارها سلالي علي[15] اسكتشاته الأولى، ثم "جمعية الآداب والتمثيل العربي" التي تأسست سنة 1921 على يد الطاهر الشريف[16] وخاضت هذه الجمعية تجربة مسرحية ناجحة، ومن عروضها نذكر "الشفاء بعد العناء"، "خديعة الغرام" و"بديع"[17]، ثم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي اهتمت بالمسرح منذ تأسيسها سنة 1931، وجعلت منه وسيلة لتمرير رسالتها ونشر تعاليمها، ولهذا سنجد بعض العلماء الأعضاء فيها يؤلفون بعض المسرحيات من أمثال أحمد توفيق المدني[18] صاحب مسرحية "حنبعل"، ومحمد العيد آل خليفة[19] مؤلف مسرحية "بلال بن رباح"، وأحمد رضا حوحو[20] مؤلف مسرحية "عنبسة"[21].

3-1 تأسيس المسرح الجزائري: لقد ساهمت هذه العوامل في نضج التجارب التمثيلية التي عرفتها الجزائر؛ وخاصة في العشرينيات من القرن الماضي التي عرفت الجزائر خلالها نهضة أدبية وفكرية؛ مع ظهور هياكل جديدة للتوزيع الثقافي وخاصة الصحافة[22]، مكنت من

تبلور هذه التجارب في قيام وتأسيس المسرح الجزائري، وذلك انطلاقا من 1926 بعرض مسرحية "جحا" التي قدمت فوق ركح المسرح الجديد بالجزائر العاصمة من قبل سلالي علي، المدعو علالو وإبراهيم دحمون.

لقد حقق عرض هذه المسرحية نجاحا كبيرا حرر مجال الإبداع المسرحي بالجزائر؛ الشيء الذي جعل الباحثين والدارسين للشأن المسرحي في الجزائر يعتبرونها البداية الحقيقية للحركة المسرحية بها، خاصة بعد أن انضم إلى فرقة سلالي علي، المعروفة بالزاهية، كل من محي الدين بشطارزي[23] ورشيد قسنطيني[24] "هذا الثلاثي الذي وضع قطار المسرح الجزائري على السكة"[25]، وفي إطار نشاطه تفاعل المسرح الجزائري الناشئ مع الحركة الوطنية باعتباره تأسس في مرحلة غليان سياسي واجتماعي، وتبنى مطالبها وانتقد الممارسات الاستعمارية.

2- المسار النضالي للمسرح الجزائري:

2-1 المسرح والقضية الوطنية: قام المسرح الجزائري بدور هام في الدفاع عن القضية الوطنية ومقاومة الاستعمار، وذلك حتى في أشكاله البدائية؛ فعرائس الكراكوز عبرت عن توجه وطني معاد للاستعمار[26]، حيث أنه في أحد العروض الخاصة به سيجعل "كاراكوز" البطل وحدة من الجنود الفرنسيين جاءت لإلقاء القبض عليه، تفر من أمامه بعد أن وجه لكمات موجعة للجنود، وفي عرض آخر يظهر الشيطان مرتديا لباسا عسكريا فرنسيا، هذا التوجه كان سببا في منع عروضه من قبل الإدارة الاستعمارية سنة 1843[27]، وحسب لانداو فإن هذا النوع من المسرح "كان الوسيلة الوحيدة للسكان العرب المضطهدين من أجل أن يعبروا عن كرههم للمستعمر"[28].

إن التوجه الوطني للمسرح الجزائري راجع لكونه نشأ في منتصف العشرينيات من القرن الماضي في مرحلة غليان سياسي واجتماعي؛ استغلها ليأخذ موقعه النضالي، ويندمج في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار، حيث أن فشل الثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سيجعل الحركة الوطنية، بعد الحرب العالمية الأولى، تنقل المواجهة مع الاستعمار إلى الساحة السياسية والثقافية، ويأخذ بذلك المسرح مكانه إلى جانب الصحيفة والمدرسة والمسجد، ويتحول إلى منبر سياسي للحركة الوطنية، ورافد من روافدها، ومدرسة تساهم بفعالية في "تكوين وتشكيل الضمير الوطني"[29].

إن المسرح الجزائري في مسعاه وتوجهه هذا قدم العديد من المسرحيات والعروض ذات البعد الوطني، والمعبرة عن هوية الشعب الجزائري؛ فتأليف مسرحية عملية إبداعية وثقافية تعبر فعلا عن هذه الهوية، وعن وجوده كشخصية مستقلة، وفي نفس الوقت مطالبة بالتميز والانتماء إلى دائرة ثقافية خاصة، ولهذا فميلاد المسرح الجزائري يعني في نظر الشاعر غابريال أوديسيو[30]: "بداية تعبير الجزائريين عن وجودهم وشخصيتهم بلغتهم الوطنية"[31]، ومن هذا المنطلق سيصبح وسيلة نضال بين أيدي الحركة الوطنية تستعمل أدوات جديدة وجهت ضربات موجعة للسياسة الاستعمارية، وساهمت بقوة في تصفية أجهزتها الثقافية، ونشر الوعي الوطني لأن التمثيلية المضحكة ليست فقط للتسلية؛ بل لإثبات وجود مجموعة وطنية وميلاد أمة..."[32].

2-3 بعض المواقف الوطنية للمسرح الجزائري: كان الالتزام بالقضية الوطنية أحد الخاصيات الأساسية للمسرح الجزائري باعتباره أحد أشكال أدب النضال الذي من سماته الهامة أنه "أدب تعبئة وتوعية يسبق اندلاع الالتحام العسكري"[33]، لهذا فإن المسرحيين الجزائريين سيتصدرون المشهد النضالي، وينجزون مسرحيات وتمثيليات بمواقف وطنية واضحة تعكسها التلميحات السياسية التي تتخللها، ويمكن إجمال هذه المواقف فيما يلي:

- توقف وامتناع رواد المسرح الأوائل عن تقديم أي عرض مسرحي سنة 1930، وبالأخص فرقة "الزاهية" التي أسسها سلالي علي، وذلك للتعبير عن معارضتهم للاحتفالات الاستفزازية التي نظمتها الإدارة الاستعمارية بمناسبة الذكرى المائوية لاحتلال الجزائر[34]، وقد أشار إلى ذلك محي الدين باشطارزي في مذكراته؛ إذ يذكر بأنه خلال هذه السنة لم ينتج المسرح الجزائري سوى مسرحية واحدة[35].

- المساهمة في صندوق الحركة الوطنية الجزائرية بصفة مستمرة، وذلك إلى غاية إغلاق المسرح العربي سنة 1956 من قبل الإدارة الاستعمارية، ومصدر هذه المساعدة الدعم المالي الذي كان يحصل عليه المسرح العربي من بلدية الجزائر[36]؛ إذ كان يقتطع منه جزء لهذا الغرض، وإلى جانب ذلك كان كثير من الفنانين والممثلين يقومون بتقديم اسكتشات ومسرحيات بهدف جمع التبرعات المالية للتكفل بمصاريف الدفاع عن السجناء السياسيين والوطنيين الذين كانوا معتقلين في السجون والمعتقلات الفرنسية[37].

- قيام فناني أوبرا الجزائر بالوقوف دقيقة صمت يوم 05 ديسمبر 1952 ترحما على روح الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، والذي اغتالته الاستخبارات الفرنسية بتونس، وهو

ما ترتب عنه معاقبة باشطارزي من قبل رئيس بلدية الجزائر أنذاك، وفرض غرامة مالية ثقيلة عليه قيمتها خمسون ألف فرنك[38].

- جدية وأصالة المواضيع والقضايا المعالجة في الأعمال المسرحية باعتبار أن المسرحيين الجزائريين كانوا واعين بالمسؤولية الملقاة على كاهلهم، ومدركين بأن "المسرح الجاد لا يظهر ولا ينتعش إلاّ إذا عبر عن المشكلات الحيّة والجادة التي يعاني منها معظم الناس"[39]، وانطلاقا من ذلك ركزت الأعمال المسرحية على معالجة قضية العادات الفاسدة والشعوذة والأمراض الاجتماعية، وانتشار الأمية بين صفوف النساء الجزائريات[40]، وكذلك قضية الإدمان على المخدرات وتناول الكحول، وهذا ما تكفلت به مسرحيات "زواج بوبرمة" لرشيد قسنطيني، و"عنتر الحشايشي" لسلالي علي، و"الشفاء بعد العناء" للطاهر علي الشريف.

لقد عبر المسرحيون الجزائريون من خلال هذه العروض المسرحية عن وعيهم بالأهداف الخطيرة للسياسة الاستعمارية التي كانت تهدف من خلال إدخال الخمر وبيعها للجزائريين "تحطيم صحة السكان، وتدمير قدراتهم على المقاومة وإرادتهم النضالية[41].

4- نماذج لمسرحيات وطنية

4-1 مسرحية "يوغورطة" لعبد الرحمان ماضوي: ألف الكاتب هذه المسرحية سنة 1952، ولم يقم بطبعها إلاّ في سنة 1969[42]، تتكون من خمسة فصول، وتدور أحداثها في المرحلة الممتدة من 113 ق.م إلى 105 ق.م.

لكن رغم أن الفصل الأول، حسب النص المسرحي، تبدأ أحداثه سنة 113 ق.م، إلاّ أن الحقائق التاريخية المعالجة في المسرحية ترجع إلى 118 ق.م، حيث تبدأ بوفاة الملك مكيبسا[43]، ثم تقسيم نوميديا بين ولديه أذربعل وهيام بصال وابن أخيه يوغرطة، وهو بطل المسرحية، إلا أن هذا الأخير لم يكن راضيا على هذا التقسيم على أساس أنه "يخدم السياسة الرومانية في شمال إفريقية، ويحول دون تحقيق مشروعه الهادف إلى تكوين دولة مغربية قوية تجمع كل أجزاء المغرب"[44]، من أجل إفشال عملية تقسيم المملكة، والمحافظة على وحدتها لجأ يوغورطة إلى التخلص من أذربعل وهيامبصال، وهذا ما أثار مخاوف روما على مصالحها في الشمال الإفريقي آنذاك، وجعلها تعلن الحرب عليه سنة 112 ق.م، لكن يوغورطة سيتمكن من إلحاق الهزيمة بها، ويرغمها على طلب الصلح سنة 111 ق.م، والاعتراف بسلطته على كامل نوميديا.

لكن فشل روما في القضاء على يوغورطة جعلها تلجأ إلى الكيد له، واستعمال سلاح الخيانة والخداع ضده، وذلك بالتواطئ مع صهره "بوكوس" ملك موريتانيا، الذي سيغدر به، ويلقي القبض عليه، ويسلمه مكبلا بالسلاسل للرومان الذين نقلوه إلى روما، وزجوا به في السجن حيث تعرض لمختلف أنواع التعذيب، وبقي هناك إلى غاية وفاته سنة 104 ق.م.

لقد استلهم الكاتب أحداث المسرحية من التاريخ القديم، وأسقطها على الواقع السياسي للجزائر آنذاك، وهذا بغرض توعية الشعب، وإيقاظ "همم الناس للتأهب لمعركة التحرير"[45]، ولهذا فالفصول الخمسة للمسرحية تطرح وتعالج موقف الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي، وذلك من خلال ذكر معظم الحوادث التاريخية المتعلقة بالاحتلال الروماني القديم للجزائر[46]، وقد اختار الكاتب شخصية يوغورطة ليجعل منها، كما جاء في تقديم عبد الله شريط للمسرحية، "ملحمة يبرز فيها الملامح الخالدة للشخصية الجزائرية التي ظلت على مر التاريخ تصارع الطغيان"[47]، إضافة إلى محاولته من خلالها إبراز مقاومة الشعب الجزائري كظاهرة متجدرة في التاريخ ميزت مواقفه إزاء الغزاة منذ القدم بما في ذلك الاستعمار الفرنسي، وبأن هذه المقاومة لا تأفل ولا تنتهي بسقوط أحد رموزها؛ فهي مستمرة ولا تخبو، ويسوق في هذا الصدد قول يوغورطة، وهو في الأسر يخاطب أعداءه: "عما قريب سيكون لأفريقيا يوغرطة آخر، لأن إفريقيا لا يأفل لها نجم في مشرقها إلا ويبزغ لها نجم آخر في مغربها...، ويل للمستعمرين...، ويل للغاشمين...، وويل للمنافقين الخائنين"[48].

2-4 مسرحية "الناشئة المهاجرة" لمحمد الصالح رمضان: ألف محمد الصالح رمضان[49] مسرحية "الناشئة المهاجرة"، ونشرها سنة 1949[50]، ليتم تمثيلها بعد ذلك لأول مرة بمدرسة دار الحديث بتلمسان، والتي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تتألف المسرحية من سبعة مشاهد تدور حوادثها في مكة المكرمة، وتعالج بعض المواقف من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى يثرب.

نص المسرحية حسب الكاتب موجه للتلاميذ الصغار، وذلك بغرض إطلاعهم على بعض فصول وجوانب التاريخ الإسلامي المشرقة، وغرس بعض القيم الفاضلة فيهم، وتعليمهم أهمية التضحية في سبيل الدفاع عن العقيدة والمبادئ العظيمة، إضافة إلى الصبر على الأذى والإساءة وتحملهما بغرض تبليغ الرسالة.

إن الكاتب أراد من خلال هذه المسرحية، وذلك على غرار عبد الرحمان ماضوي، إجراء إسقاط سياسي على واقع الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، والتي عرفت هجرة هامة للجزائريين إلى المشرق العربي والمغرب الأقصى وغيرهما، ولهذا فليس مستبعدا أن يكون قد أراد أن يربط بين الهجرة النبوية وهجرة الجزائريين إلى هذه البلدان حفاظا على عقيدتهم وهويتهم؛ خاصة وأن تلمسان، حيث مثلت المسرحية لأول مرة، عرفت هجرة كبيرة سنة 1911 لنفس الأسباب[51].

3-4 بعض مسرحيات محي الدين باشطارزي: خلال مساره المسرحي الطويل والثري ألف محي الدين باشطارزي العديد من المسرحيات الهادفة والملتزمة، والتي عالجت مواضيع سياسية يهاجم فيها الاستعمار والمتعاونين معه؛ ففي مسرحية "فاقو" التي تم عرضها سنة 1934 هاجم فيها وبقوة الاستعمار الفرنسي والقوى المتعاونة معه، وخاصة بعض السياسيين والمنتخبين المعروفين بـ"بني وي وي"[52].

وفي مسرحية أخرى تحمل اسم "بني وي وي"، والتي قام بعرضها في نوفمبر 1935، هاجم باشطارزي الإدارة الاستعمارية، وعملية التزوير التي كانت تطبع الانتخابات بصفة عامة، ووجه من خلالها نداء إلى الناخبين داعيا إياهم لعدم الوقوف موقف المتفرج إزاء ذلك لأن مستقبل الشعب الجزائري، ومصيره مرتبط بأصواتهم الانتخابية[53].

أما في مسرحية "الخدّاعين" فقد هاجم باشطارزي الاستعمار الفرنسي والمتعاونين معه، واسترسل في إبراز سلبياتهم والضرر الذي ألحقوه بمصالح الشعب الجزائري، كما انتقد بقوة الطرقيين الذين كانوا يحظون بالدعم من قبل الإدارة الاستعمارية[54]، وهذا ما جعله يتعرض لهجوم مزدوج: من الإدارة الاستعمارية التي أقدمت على منع عرض المسرحية، والطرقيين الذين وجهوا انتقادات شديدة لنص المسرحية من خلال جريدة "البلاغ" التي شرع شيخ الطريقة العليوية، أحمد بن عليوة[55]، في إصدارها ابتداء من 1926 بمدينة مستغانم.

لقد عبر محي الدين باشطارزي عن طريق هذه المسرحيات وكذا مسرحيات أخرى، مثل "النساء" (1937) و"الكذابين" (1938)... عن توجه وطني معادٍ للاستعمار، والتزام صريح بقضايا ومشاكل الشعب الجزائري الكبرى، ومساهمة نوعية في توعيته وإعداده للثورة.

الخاتمة: إن المسرح الجزائري رغم الدور الذي قام به في مقاومة الاستعمار الفرنسي، باعتباره أحد روافد الحركة الوطنية؛ فإن مساهمته لم تحظ بنصيبها من البحث والدراسة

مقارنة مع المقاومة المسلحة والسياسية، كما أن المسرح نقل المقاومة إلى فضاءات جديدة: مسارح، قاعات سينما، نوادي، مدارس...، واستعمل أدوات جديدة في النضال ذات طابع فني وأدبي، في انتقاد السياسة الاستعمارية، ومعالجة المشاكل الحقيقية للمجتمع الجزائري، وذلك من ظلم وانتشار للجهل والأمية، والإدمان على الخمر والمخدرات، وانتشار الشعوذة وغيرها...

إضافة إلى ذلك فإن طابع المقاومة ميز المسار النضالي للمسرح الجزائري منذ بداياته الأولى، وحتى في أشكاله البدائية، وتمكن من مسايرة تطور الحركة الوطنية والالتزام بمطالبها، والنصوص المسرحية المؤلفة آنذاك خير مثال على ذلك؛ إذ أن كثيرا منها كان يعكس توجهات الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية، وذلك تحت غطاء أدبي وفني، وقد انفردت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومحي الدين باشطارزي بتقديم مسرحيات هادفة وذات بعد سياسي، وساهمت في تطور مفهوم الفرجة في المسرح الجزائري التي لم تصبح مجرد وسيلة للتسلية يقصد منها تمضية الوقت فقط، بل أصبح مدرسة ووسيلة لتربية الشعب الجزائري ثقافيا وسياسيا، وإعداده لدعم نضال الحركة الوطنية في مواجهتها مع الاستعمار.

الهوامش:

1- ميراث العيد، الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري، دراسة الأشكال التراثية، مجلة إنسانيات، العدد 12، مجلد3، سبتمبر- ديسمبر 2000، ص9. ----2- كان هذا الشكل يعرف أيضا بالمسرح الصيني.

3- عمرون نور الدين، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، ط1، شركة باتنيت، باتنة، 2006، ص 61.

4- Roth Arlette, le théâtre Algérien de langue dialectale 1926-1954, Maspero Paris, 1967, P 14.

5- عمرون نور الدين، مرجع سابق، ص61. ----6- لمباركية صالح، المسرح في الجزائر، النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، ج1، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص21.----7- وهي عبارة عن دمية تحملها البنات إبان مواسم الجفاف، ويطوفن بها ويرددن بعض الأغاني لطلب الغيث.----8- بوتيتسيقا ثمارا ألكسندر وفنا، ألف عام وعام على المسرح العربي، ترجمة توفيق المؤذن، دار الفارابي، بيروت، 1981، ص64.----

9- عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة، الجزائر، 1982، ص89. ----10- فضلاء محمد الطاهر، المسرح تاريخا ونضالا، مجلة الثقافة، العدد 90، الجزائر، نوفمبر- ديسمبر 1985، ص283.----11- بوتنسيقا ثمارا ألكسندر وفنا، المرجع السابق، ص 140. ----12- حمومي أحمد، ظاهرة المسرح في الجزائر، تجربة وهران، دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2007-2008، ص140.

13- SELLALI, Ali, L'aurore du théâtre Algérien 1926-1932, cahier du C.D.S.H, Oran, 1982, P 58.

14- Darrouy, Lucienne Jean, la musique musulmane en Afrique du nord, in B.S.G.A.O, N° 125, Alger, 1931, P 45.

15- يعرف في الوسط الفني بعلالو، كاتب وممثل مسرحي، ولد بالجزائر العاصمة في 30 مارس 1902، بدأ تعليمه بحي القصبة ثم بمدرسة "ساروي" بالعاصمة وتتلمذ على يد الشيخ عمر بن قدور الذي علمه اللغة العربية وآدابها. اهتم بالمسرح بعد حضوره لبعض العروض لبقاعة أوبرا الجزائر وأسس فرقة "الزاهية" ويعتبر من مؤسسي المسرح الجزائري مع محي الدين باشطارزي ورشيد قسنطيني، توفي سنة 1992، من مؤلفاته المسرحية "جحا" "زواج بوعقلين"، "الصياد والعفريت"، "الخليفة والصياد"، "حلاق غرناطة". رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ج2 ص 149.

16- كاتب مسرحي وممثل جزائري مؤسس جمعية "الآداب والتمثيل العربي" التي كانت تعرف بالمهذبة سنة 1921 والتي قدمت ثلاث مسرحيات باللغة العربية الفصحى: "الشفاء بعد العناء" سنة 1921، "خديعة الغرام" سنة 1923، ثم مسرحية "بديع" سنة 1924. إسهامات الطاهر علي

الشريف ومؤلفاته المسرحية لعبت دورا هاما في تأسيس المسرح الجزائري سنة 1926. Bencheneb Saaddine, Le théâtre arabe d'Alger, in revue Africaine, N° 77, 1935, P 74./صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، ص62.

17- Bencheneb, Saaddine, OP.Cit, P 74.

18- كاتب وصحافي وسياسي جزائري، ولد بتونس سنة 1899، بدأ تعليمه بالالتحاق بالكتاب ثم المدرسة القرآنية، وفي سنة 1913 التحق بجامع الزيتونة ثم المدرسة الصادقية حيث تعلم التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع. بدأ نشاطه السياسي بالانخراط سنة 1920 في الحزب الدستوري التونسي وانتخب عضوا في لجنته التنفيذية وتولى إدارة مجلة "الفجر" التابعة للحزب، لكن نظرا لمواقفه المعادية للاستعمار الفرنسي سيتم نفيه إلى الجزائر سنة 1925 ليستقر بالعاصمة حيث ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، وبعد الاستقلال عين وزيرا للأوقاف ثم وزيرا للشؤون الدينية ثم سفيرا بعدة بلدان عربية وإسلامية، توفي سنة 1983، من أهم مؤلفاته "جغرافية القطر الجزائري"، "هذه هي الجزائر"، "حرب الثلاثمائة سنة 1492-1792"، "كتاب الجزائر"، "حياة كفاح" ، مسرحية "حنبعل" ... رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص524.

19- شاعر وأديب جزائري، ولد سنة 1904 بعين البيضاء (أم البواقي)، التحق بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم، ليواصل تعليمه ببسكرة التي انتقلت إليها عائلته، وفي سنة 1921 التحق بجامع الزيتونة بتونس حيث درس لمدة سنتين ليعود إلى بسكرة من جديد، وفي سنة 1927 تولى إدارة مدرسة "الشبيبة الإسلامية" لمدة أثنى عشرة سنة، وأثناء ذلك ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، كما تولى سنة 1940 إدارة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية ببانتة وذلك إلى غاية إلغائها من قبل الإدارة الاستعمارية سنة 1947. عند اندلاع الثورة سنة 1954 القي عليه القبض وسجن ثم وضع تحت الإقامة الجبرية إلى غاية الاستقلال، وتوفي سنة 1979. من أشهر مؤلفاته "ديوان شعر" (1967)، مسرحية "بلال بن رباح" (1938)، "شبح الفقر" ... رابح خدوسي وآخرون، مرجع سابق، ج1، ص247-248.

20- أديب وصحفي وكاتب مسرحي، ولد سنة 1911 ببلدة سيدي عقبة (بسكرة)، بدأ تعليمه بالالتحاق بالكتاب حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة العربية، وعندما بلغ السادسة التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية حيث حصل على الشهادة الابتدائية ليواصل تعليمه التكميلي بسكيكدة ثم بالحجاز حيث تخرج من مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة سنة 1938، عاد إلى الجزائر واستقر بمدينة قسنطينة وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين إذ عمل مدرسا ثم مديرا ومفتشا للتعليم الحر، وفي سنة 1947 سيتم تعيينه أمينا عاما لمعهد ابن باديس. لقد أثرى أحمد رضا حوحو المكتبة الجزائرية بالعديد من المؤلفات في مجال الآداب والمسرح منها قصة "غادة أم القرى"، "مع حمار الحكيم"، "نماذج بشرية"، ثم مسرحيات "صنيعة البرامكة"، "بائعة الورد" ... إضافة إلى ذلك أسس جمعية "المزهر القسنطيني للمسرح والموسيقى"، لكن سيتم اغتياله من قبل الإدارة الاستعمارية سنة 1956. رابح خودري وآخرون، مرجع سابق، ج1، صص738-739.

21- قرقوة إدريس، الظاهرة المسرحية في الجزائر، دراسة في السياق والآفاق، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2015، ص38.

22- Djeghloul, Abdelkader, Elément d'histoire culturelle algérienne, ENAC, Alger, 1984, P 213.

23- كاتب مسرحي وممثل، ولد بحي القصبة بمدينة الجزائر سنة 1897 بدأ تعليمه بالكتاب حيث حفظ القرآن وأصبح "باش حزاب" أي رئيس قراء وحفظة القرآن الكريم ثم مؤذنا بمسجد الجامع الكبير. تعلم الموسيقى ومختلف أنماطها على يد المفتي بوغندورة ثم إدموند يافل رئيس فرقة "المطربية" الذي مكنه من تسجيل بعض الاسطوانات والمشاركة في العديد من الحفلات الموسيقية، وبعد وفاته تولى باشطارزي رآسة الفرقة والمساهمة إلى جانب علالو وقسنطيني في تأسيس المسرح الجزائري سنة 1926. بعد الاستقلال كلف بإدارة المعهد الموسيقي لمدينة الجزائر وتوفي سنة 1986. من أهم مسرحياته "البوزريعي في العسكرية" (1932)، "المشحاح"، "سليمان لوك"...، ثم طبع مذكراته في ثلاثة أجزاء. عاشور شرفي، معلمة الجزائر، القاموس الموسوعي تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم، دار القصبة للنشر وANEP، الجزائر، 2009، ص151-152.----24- مؤلف وممثل مسرحي كوميدي من مواليد 1887 بحي القصبة بالجزائر العاصمة، بدأ تعليمه بالالتحاق بالكتاب ثم بالمدرسة العمومية حيث نال الشهادة الابتدائية. عند قيام الحرب العالمية الثانية هاجر إلى فرنسا وعند عودته منها انضم إلى فرقة "الزاهية" لعلالو سنة 1926، وساهم في تأسيس المسرح الجزائري. وفي سنة 1927 أسس فرقة مسرحية تعرف "بفرقة الهلال الجزائري"، توفي سنة 1944. من أهم مؤلفاته المسرحية "ثقبة في الأرض"، "باب قدور الطماع" و"عائشة أم الزبايل" ... رابح خدوسي وآخرون، مرجع سابق، ج2، ص524.

25- Hammoumi Ahmed et autres, l'Algérie, histoire, société et culture, Editions Casbah, Alger, 2000, P 218.

26- بوتيتسيفا ثمارا ألكسندروفنا، المرجع السابق، ص 198.

27- Landau Jacob, Etudes sur le théatre et le cinéma arabes, traduit par Francine Le Cleach, maisonneuve et larose, Paris 1965, P45.----28- Ibid, P 51.

29- Benachour, Bouziane, le théâtre en mouvement, Octobre 1988 à nos jours, Dar El Gharb, 2003, P 32.

30- ابن مدير دار الأوبرا بالجزائر فيكتور أوديزيو Victor Audisio في الفترة (1920-1930).

31- Sellali Ali, Op.Cit, P 450.----32- Djeghloul Abdelkader, OP.Cit, P 134.

33- بركات درار أنيسة، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 إلى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص60.

34- Sellali Ali, Op.Cit, P 33.----35- Bachetarzi, Mehiéddine, Mémoire 1919-1939, T1, SNED, Alger, 1968, P 115.----36- Bachetarzi, Mehiéddine, Mémoire 1947, T2, ENAL, Alger, 1984, P 221.

37- Ibid, P 93.----38- Bachetarzi, Mehiéddine, Mémoire, T3, ENAL, Alger, 1986, P 213.

39- حافظ أحمد أمين، كتاب قضايا عربية، أزمة المسرح العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993، ص26.

40- Bencheneb Saaddine, Op.Cit, P 82.

41- Kasbaoui, Nadia Bouzar, Emergence artistique algérienne au xx siècle, O.P.U, Alger, 1988, P 142.

42- مرتاض عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص213. ----43- ابن ماسينيسا، تولى الحكم بعد وفاه أبيه في الفترة ما بين 148 ق.م و 118 ق.م.----44- قادة محمد، إشكالية الكتابة المسرحية في الجزائر، دراسة نقدية لنماذج من النصوص المسرحية الفصيحة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2006-2007، ص 234. ----45- مرتاض عبد المالك، مرجع سابق، ص 215.----46- قادة محمد، مرجع سابق، ص215. ----47- ماضوي عبد الرحمان، يوغرطة، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 140-141. ----48- ماضوي عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص 140-141.

49- كاتب وشاعر، من مواليد سنة 1914 بالقنطرة، ولاية باتنة، التحق بالكتاب في بداية مشواره التعليمي حيث حفظ القرآن، ثم بالمدرسة العمومية لتعليم اللغة الفرنسية، تتلمذ على يد الشيخين الأمين سلطان وعبد الحميد بن باديس. اشتغل بالتعليم سنة 1937 بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ثم بغليزان، وفي سنة 1944 تم تعيينه مديرا لمدرسة دار الحديث بتلمسان، ثم بعد ذلك مفتشا في مدارس الجمعية، وبعد الاستقلال عين مديرا للتعليم الديني لوزارة الأوقاف وتوفي سنة 2008. من أهم مؤلفاته: "الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية" (1950)، "أركان الفتوة"، "جغرافية الجزائر والعالم العربي"، ثم مسرحيات "الخنساء"، "الناشئة المهاجرة"، "المولد النبوي الشريف"... رابح خودري وآخرون، ج2، مرجع سابق، ص64-65.----50- عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص226.----51- مهديد إبراهيم، القطاع الوهراني ما بين 1850-1919، دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص 170.

52- Cheniki, Ahmed, le théâtre en Algérie, histoire et enjeux, edisud, Aix-en-Provence, 2002, P 26.

53- بوتيتسيقا ثمارا ألكسندروفنا، المرجع السابق، ص205.

54- Bencheneb, Rachid, mémoires de Mehiéddine Bachetarzi ou vingt ans de théâtre Algérien, in R.O.M.M, N°9, Aix en Provence, 1971, P 18.

55- شاعر وأديب ومفسر ومن أعلام التصوف في الجزائر، ولد سنة 1869 بتجديث بمستغانم، بدأ تعليمه بحفظ القرآن على يد والده ثم على يد كثير من شيوخ التصوف منهم الشيخ محمد البوزيدي الذي ولاه الطريقة الصوفية، وعلى إثر ذلك أسس زاوية أصبح مقرا لهذه الطريقة التي بعد وفاته سنة 1934 أصبحت تحمل اسم الطريقة العليوية، من أهم مؤلفاته "القول المعروف في الرد على من أنكر المتصوف"، "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود"، "مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المدير في علم الفقه والتوحيد" ... رابح خودري وآخرون، مرجع سابق، ج1، ص149.